

**الهدر الجامعي:
مقاربات نظرية مفسرة**

**University Dropout:
Some Explanatory Theoretical Frameworks**

د. نورالدين غزوان

جامعة السلطان مولاي سليمان
المغرب

ghazouane.kh@hotmail.fr



الهدر الجامعي: مقاربات نظرية مفسرة

د. نورالدين غزوان

ملخص:

نهدف من خلال هذه الورقة إلى تسليط الضوء على موضوع الهدر الجامعي، وذلك بالتوقف عند أهمّ التفسيرات التي قدمها المتخصصون للأسباب الثابتة خلفه. ونشير هنا إلى أننا لم نعر اهتماما كافيا للدراسات الإمبريقية التي حاولت الكشف عن بعض الأسباب المتحركة في انتشاره، دون أن تحدّد لنفسها أهدافا نظرية، يستطيع الباحثون الاسترشاد بها في تحليلهم لمختلف الإشكالات التي يطرحها. فما يهمنا، على وجه الخصوص، في هذه الورقة هو المقاربات التي استطاعت أن تنفصل عن التجليات الواقعية للموضوع، مشيدة بذلك أرضية نظرية لتناول وتفسير مختلف القضايا التي يمكن أن يثيرها. ويمكننا إجمال هذه المقاربات في: المقاربة السيكلوجية، مع ألفريد هيلبروم (Heilbrum Alfred) وهاريت آلان روز (Rose Harriet Allan)، والمقاربة الاجتماعية، مع جيروم كارابيل (Karabel Jérôme). وخصوصا المقاربتين: التنظيمية مع إرنست باسكاريل (Pascarella Ernest) وباتريك ترينزيني (Patrick Trenzini) وجون بين (John Bean) وبربارا متزير (Barbara Metzner)، والتفاعلية مع وليام سبادي (W. Spady) وتينتو (Tinto)، اللتين تستندان على أسس ومفاهيم نظرية إميل دوركايم حول الانتحار في تفسير هذه الظاهرة. الكلمات المفتاحية: الهدر الجامعي، الاندماج الاجتماعي، الاندماج المؤسسي.

Abstract:

The present article seeks to shed light on the problem of university dropout, by focusing on the most important explanations provided by specialists for the reasons behind. It should be noted that we have not given sufficient attention to empirical studies that attempted to uncover some reasons controlling its spread, without defining theoretical targets that researchers can use as guidance to analyze the various aspects of that phenomenon.

In fact, we are interested here, in particular, in approaches that were able to go beyond the realistic manifestations of the problem, thus building theoretical basis for addressing and interpreting the various issues that can be related to this phenomenon. These approaches can be summarized in: the psychological approach of Alfred Heilbrum and Rose Harriet Allan, the social approach of Jérôme Karabel, and, in a particular way, the organizational approach of Ernest Pascarella, Patrick Trenzini, John Bean, and Barbara Metzner, and the interactionist approach of W. Spady and V. Tinto, which are both based on the foundations and concepts of Emile Durkheim's theory of suicide in explaining university dropout

key words: University Dropout, Social Integration, Institutional Integration.

1- مقدمة:

إن المتأمل في الكتابات التي اتخذت من الهدر الجامعي موضوعا لها، سيلاحظ أن بدايات الاهتمام بهذا الموضوع لم تتشكل إلا بعد نهاية النصف الأول من القرن العشرين. لكن، ورغم هذا الاهتمام المتأخر بالموضوع، قياسا إلى بعض القضايا الأخرى التي تطرحها الجامعة، فإننا نلفي اليوم إسهامات غزيرة استطاعت إلى حد بعيد أن تحيط به من مختلف جوانبه، كما نلفي تعددا وتباينا في التفسيرات التي تم تقديمها لمختلف الإشكالات التي يطرحها.

يرجع هذا التعدد على مستوى التفسيرات والإجابات التي لقيها موضوع الهدر الجامعي، في نظرنا، إلى ثلاثة عوامل رئيسية: أولا؛ تعقد الموضوع وارتباطه بمجموعة من المتغيرات: الدراسية والاجتماعية والاقتصادية... إلخ. ثانيا؛ تباين النظريات والتخصصات المعرفية التي تتناوله بالدراسية والتحليل، بالشكل الذي يجعل النتائج والخلاصات التي يتوصل إليها الباحثون رهينة بالثوابت والمسلمات التي يفرضها التخصص المعرفي، وطبيعة النظرية المعتمدة؛ أخيرا؛ نوع المنهج الذي يعتمده الباحث، سواء أكان ذلك داخل تخصصات معرفية مختلفة، أو داخل التخصص نفسه.

إلى جانب هذه العوامل المفسرة لتباين نتائج الدراسات التي تتخذ من الهدر الجامعي موضوعا لها، يمكننا أن نضيف تعقد الإشكالات التي يثيرها، إذ يمكن، على سبيل المثال لا الحصر، أن نتحدث عن أسبابه، كما يمكن أن نتحدث عن تداعياته ونتائجه... إلخ. إضافة إلى إمكانية ربط هذه الإشكالات بمقاربات وتخصصات معرفية مختلفة: (نفسية، اجتماعية، اقتصادية، بيداغوجية...)، هذا دون أن ننسى إمكانية السعي إلى بناء باراديجمات مفسرة لمختلف الإشكالات التي يطرحها.

تدفعنا هذه التمهصلات على مستوى النظر إلى الموضوع، إلى الاعتراف بصعوبة التعاطي معه في شموليته، أو ادعاء إمكانية تقديم نتائج نهائية حول أي إشكال من الإشكالات التي يطرحها. وبناء على ذلك سنحاول أن نقتصر في هذه الورقة على بعض المقاربات والنماذج المفسرة له، خصوصا وأن الموضوع لم يشهد دراسات علمية - بالوطن العربي، وبالمجتمع المغربي على وجه الخصوص - كافية وكفيلة بفهمه وتفسير أسبابه؛ سواء في المستوى البيداغوجي الذي يشكل الأرضية الأساسي المحتضنة للموضوع، أو في المستوى السوسولوجي والسيكولوجي والاقتصادي والثقافي إلخ، باعتبارها أطرا معرفية قادرة على كشف عديد الجوانب الثاوية خلف أسبابه.

إن الحديث عن المقاربات المفسرة لموضوع الهدر الجامعي يجعلنا أمام مجموعة من وجهات النظر المختلفة، وقد حاول لويس سوفي (SauvéLouis) في هذا الإطار تصنيف هذه المقاربات حسب المداخل التي تعتمدها في دراسته وتحليله. وقد ميز في هذا الصدد بين خمس مقاربات مختلفة¹:

1-Sauvé. L et al, «Comprendre le phénomène de l'abandon et de la persévérance pour mieux intervenir»,
Revue des sciences de l'éducation, Vol. 32, n° 3, 2006, p. 788.

- مقارنة سيكولوجية: تدرس العلاقة بين شخصية الطالب والهدر الجامعي دون أن تبالي بتأثير السياق في سلوك الطالب، وأهم رواد هذا الإتجاه: ألفريد هيلبروم (Heilbrum Alfred) وهاريت آلان روز (Rose Harriet Allan) وشارل إيلتون (Elton Charles F.) وكراي هانسون (Hanson Gray) ورونالد تايلور (Taylor Ronald G.) وجيريمي روسمان (Rossmann Jeremy) وهارولد لوكي كيرك (Kirk Harold Lucky) وستيفاني فاترمان (Stephanie Watermann).
- مقارنة اجتماعية: تدرس تأثير العوامل الاجتماعية؛ كالمكانة الاجتماعية والعرق في الهدر الجامعي، دون الاهتمام بما يميز المؤسسة الجامعية من خصائص. وأهم رواد هذا الإتجاه: جيروم كارابيل (Karabel Jérôme).
- مقارنة اقتصادية: تقارب الهدر الجامعي من زاوية "الأرباح" التي يمكن للطلاب جنبها من دراساته الجامعية، لكنها لا تعبر اهتماما للعوامل الاجتماعية، وما يمكن أن تمارسه من تأثير في قرار الطالب بالمواصلة أو الانقطاع عن الدراسة.
- مقارنة تنظيمية: تفسر الهدر الجامعي انطلاقا من أثر الأبعاد التنظيمية للمؤسسة الجامعية التي ينتمي إليها الطالب، ومن أهم رواد هذه المقاربة: إرنست باسكاريل (Pascarella Ernest) وباتريك تريزيني (Patrick Trenzini) وجون بين (John Bean) وبربارا متزير (Barbara Metzner).
- مقارنة تفاعلية: تفسر الهدر الجامعي من خلال التفاعل الحاصل بين خصائص الطالب ونوع البيئة المؤسساتية التي توفرها الجامعة، ويعتبر وليام سبادي (W. Spady) وتينتو (V. Tinto) أهم رواد هذه المقاربة.

وتعتبر المقاربتين التفاعلية والتنظيمية الأكثر استعمالا في دراسة موضوع الهدر الجامعي، خاصة نظريتي تينتو وجون بين وباربارا ومتزير¹. وسنكتفي فيما يلي بالتفصيل في النماذج النظرية المؤسسة لهاتين المقاربتين باعتبارهما الأكثر شيوعا والأكثر استعمالا في مختلف الدراسات التي تتناول ظاهرة الهدر الجامعي، وباعتبارهما، في تصورنا، أكثر شمولية وأوسع أفقا في معالجتهما لظاهرة لا يمكن الإحاطة بها دون رؤية نسقية.

2- في التمييز بين المقاربة المفسرة والدراسة الإمبريقية:

قبل التوقف عند هاته المقاربات والنماذج المفسرة لموضوع الهدر الجامعي، لا بد من التمييز في البداية بين المقصود بالمقاربة أو النموذج المفسر، وبين الدراسة الإمبريقية للموضوع؛ أما فيما يخص الدراسة الإمبريقية فهي تشير إلى مختلف الأبحاث والدراسات التي أنجزها الباحثون حول هذا الموضوع، دون أن تكون لهذه الدراسات أهداف نظرية، بحيث ترتبط بسياق مخصوص لا يتغيا من ورائه الباحث وضع تعميمات، كما هو الحال بالنسبة إلى المقاربات التي سبق ذكرها. إلى جانب ذلك، فالدراسات الإمبريقية لا

1- Ibid, p. 787.

تشكل في غالب الأحيان موجّها لأبحاث لاحقة، كما أنّها لا تثير سجالات إستمولوجية، على مستوى المناهج والمفاهيم والنتائج. فضلا عن ذلك فهذا النوع من الأبحاث قد لا يستند بالضرورة على مظاهرات نظرية تحدد للباحث مختلف الإشكالات والمناهج التي يمكن اعتمادها في مقارنة الموضوع.

ونذكر من بين هذه الدراسات -على سبيل المثال لا الحصر- الدراسة التي قامت بها صوفي مولر (Sophie Müller) وثورستون شنايدر (Thorston Schneider) 1 للعلاقة بين المسارات الدراسية السابقة للطالب، وظاهرة الانقطاع عن الدراسة بالتعليم الجامعي، إلى جانب دراسة سيرافينا ألافّا (Alava Séraphin) وجويل كلانيت (J. Clanet) وماري بيير ترينكي (Trinquier Marie Pierre)، التي أُجريت حول طلبة جامعة تولوز لوميراي (Toulouse le Mirail) 2، والتي يفسر مُنجزوها فشل أو نجاح الطالب في الجامعة بمدى تمكن هذا الأخير من عدد من المملكات التي يستلزمها الاضطلاع بحرفة الطالب (Métier d'étudiant) على أحسن وجه. فأن تكون طالبا، في تصور هؤلاء الباحثين، مهنة قائمة بذاتها، يتطلب إتقانها التحكم في أربعة أنواع من القدرات.

يتعلق الأمر أولا بالقدرات المعرفية (Habiletés cognitives) التي تسمح بتدبير المعارف ومعالجتها وحفظها مثل: أخذ النقط، ومتابعة الدروس بالمدرج، والنشاط داخل القسم، والتركيز على الأشياء المهمة، وتعريف المفاهيم...إلخ. وهي قدرات يمارسها الطالب الجيد بحسنٍ، وبتلقائية، في حين يعجز الطالب، الذي لا يتحكم فيها، عن تعبئتها على نحو ملائم. ثانيا؛ يتعلق الأمر بقدرات توثيقية ومعلوماتية (Habiletés documentaires) تؤهل الطالب للتعامل الجيد مع البيبليوغرافيا، عبر البحث عن الوثائق والنصوص المناسبة، وانتقائها وقراءتها وتنظيمها...إلخ. ويقتضي إدماج هذه القدرات وتعبئتها التحكم في كفاية ثالثة تهم تدبير الدراسة (Management des études)، حيث استشهد هؤلاء الباحثون، في هذا السياق، ببيرنار لاهير (Bernard Lahire)، الذي يعتبر أن التحكم في وقت الفراغ من أهم المشكلات الطلابية؛ ذلك أن كيفية استغلال الطالب لهذا الوقت تؤثر بقوة في مساره الدراسي، بحيث يمكن استغلال هذا الوقت لتنظيم العملية التعليمية، من خلال البحث عن المراجع، أو ارتياد فضاءات مفيدة للمسار الدراسي، أو ملاقات زملاء يمكن الاستفادة منهم، كما يمكن استغلاله في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترفيهية...إلخ.

إضافة إلى القدرات والكفايات آنفة الذكر، يربط هؤلاء الباحثون نجاح الطالب في الجامعة بالتمكن من عدد من الكفايات الاجتماعية (Compétences sociales)، التي تتعلق أساسا بالقدرة على التكيف والاندماج داخل الجماعة الجامعية؛ فالحياة الجامعية هي بمثابة مجال للتعلم الاجتماعي الذي يمر عبر نسج الروابط والعلاقات الاجتماعية مع الأقران، وبناء مكانة جديدة داخل النسق المؤسسي والاجتماعي الجامعي؛ إذ يتوجب على الطالب اكتشاف القواعد الاجتماعية لهذا النسق، وإيجاد مكان له ضمنها،

1- Müller. S, Schneider. «T, Educational pathways and dropout from higher education in Germany»,

Longitudinal and Life Course Studies, Vol. 4, Issue 3, 2013, pp: 218-241.

2- Alava, S, « Penser reussir, savoir étudier: regards sur le décrochage universitaire» Revue HAL, 2011, p.p. 1-19.

والمشاركة أيضا في البناء الجماعي لهذه القواعد. هذا، وقد توصل هؤلاء الباحثون إلى أن حوالي 32 في المائة من الطلبة المنقطعين عن الدراسة من الجامعة نفسها (جامعة تولوز)، كانوا يشعرون بالعزلة، و33 في المائة كانوا يشعرون بالوحدة، و41 في المائة يشكون من غياب التواصل مع باقي الطلبة، بينما أقر حوالي 29 في المائة منهم انعدام التواصل مع هيئة التدريس، وهو ما يعني أن هؤلاء الطلبة، المنقطعون عن الدراسة، كانوا قيد دراستهم يعانون من فقر كبير على مستوى العلاقات الاجتماعية مع المحيط الجامعي بصفة عامة.

وفي السياق نفسه نجد عديد الدراسات الإمبريقية الأخرى¹، والتي لا يتسع المجال هنا إلى التفصيل في القضايا التي أثارها والنتائج التي توصلت إليها، فما يهمنا هو تأكيد أن كل هذه الدراسات تشترك في كونها ذات نزعة إمبريقية محضة، في حين أن النماذج والمقاربات التي سنعمل على استعراض نتائجها، تتجاوز ذلك إلى حد بناء نظريات لتفسير الأسباب الثابتة خلف هذا الموضوع، وهو الأمر الذي ارتقى بها إلى مصاف المظلات النظرية التي جعلت الباحثين المتخصصين في هذا الموضوع يعتمدون عليها في بناء إشكالاتهم ومفاهيمهم ونتائجهم.

3- نموذج وليام سبادي (W. Spady) وفينست تينتو (V. Tinto):

مع مطلع الستينيات، افترض ويليام سبادي أنه لا يمكن مقارنة ظاهرة عدم الحصول على الشهادات دون ربطها بسيرورة اجتماعية معقدة، تتداخل فيها عوامل متعددة من قبيل سند الأقران والعائلة، والرصيد والتاريخ الدراسي للطلّاب، ومسؤولياته العائلية؛ وهي عوامل تؤثر في قدرة الطالب على الاندماج الاجتماعي داخل المؤسسة الجامعية مثلما تؤثر في رضاه العام، وربما قد تجعله يقرر الانقطاع عن الدراسة².

في هذا الإطار، وضع ويليام سبادي أول نموذج نظري لتفسير الظاهرة بالاستناد إلى نظرية إيميل دوركايم (Émile Durkheim) حول الانتحار؛ الذي ينتج في نظر دوركايم عن القطيعة بين الفرد وبين النظام الاجتماعي، بسبب خصائص الفرد الشخصية، وقيمه وتجاربه السابقة. وقد تصور وليام سبادي أن الأمر يتعلق بسيرورة مشابهة عندما نتحدث عن الانقطاع عن الدراسة؛ فالطريقة التي تتفاعل بها أهداف الطالب واهتماماته وشخصيته مع النسق الجامعي، تؤثر في متغيرات أخرى، كمستوى إنجاز الطالب ونموه الفكري وعلاقاته الاجتماعية، ويؤثر هذا التفاعل في مستوى الاندماج الاجتماعي للطلّاب داخل المؤسسة، وفي مستوى رضاه العام عن تجربته الجامعية بصفة عامة، وبالتالي درجة انخراطه داخل المؤسسة. ودرجة

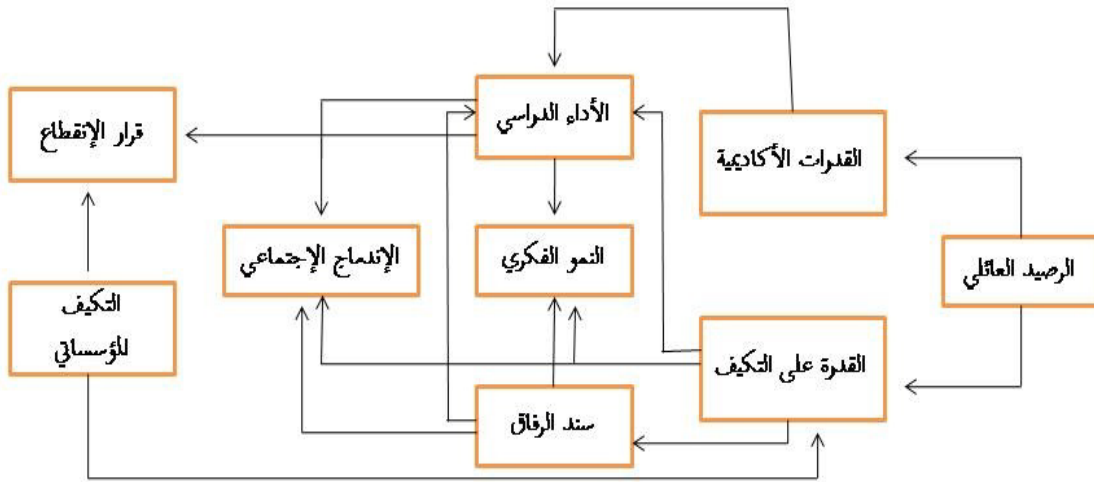
1- Voir, MajaMihaljevic Kosor, *Leaving Early : The derminants of Student Non-Completion in Croatian Higher Education*, Rev. soc. polit., vol. 17, n° 2, 2010.

-McCullochA, *Learning from Futuretrack : Dropout from higher education*, Department for Business Innovation and Skills (BIS), Higher Education Careers Service Unit (HECSU) March 2014.

2- Spady William « dropouts from higher education: an interdisciplinary review and synthesis» *interchange* I, 1970, p.p. 64-85. cité par: DeRemer, M.A. *The Adult Student Attrition Decision Process(ASADP) model*. Thèse de Doctorat, University of Texas, Austin, TX, 2002, p.p. 15-16.

الانخراط المؤسساتي هاته هي المؤثر المباشر في قرار الطالب بمواصلة الدراسة الجامعية أو الانقطاع عنها، كما أن للمردود الدراسي للطالب كذلك تأثير مباشر في هذا القرار، باعتبار أن الطالب ذو المردود المتدني قد يقرر الانقطاع لدواعي دراسية محضة¹.

توضح الخطاطة رقم (1) فحوى هذا النموذج النظري، الذي يلعب فيه الرصيد الدراسي للطالب، وطريقة تعامله مع النسق المؤسساتي الجامعي دورا محوريا في تحقيق اندماجه الاجتماعي وانخراطه المؤسساتي، ويؤثر هذين المتغيرين- أي الرصيد الدراسي وطريقة التعامل مع النسق المؤسساتي- في المردود الدراسي للطالب وفي نموه الفكري وتطور علاقاته، خاصة مع الأقران.



خطاطة رقم (1): نموذج سبادي المفسر لأسباب الهدر الجامعي (1970)*

ينبني هذا النموذج في أسسه العلمية والابستمولوجية على مقاربة ميكروية، رغم اعتماده تصور دوركايم الكلياني، إذ سعى الباحث من خلاله إلى كشف السيرورة المتحركة في الهدر الجامعي في أدق تجلياتها الواقعية، فقد زواج بين الانتماء الاجتماعي للطالب ورصيده العائلي، ومختلف الامتيازات التي يوفرها هذا الانتماء، بما هو شكل من أشكال الثقافة، وبين النسق الأكاديمي، بما هو نسق يفرض مجموعة من القواعد الصريحة والضمنية التي يجب استيعابها واستدماجها للاستمرار فيه، معتمدا في ذلك مجموعة من المفاهيم مثل: (الأداء الدراسي، النمو الفكري، القدرة على التكيف، سند الرفاق، الاندماج الاجتماعي)، التي توحى بأن التجربة الطلابية بمختلف تفاصيلها داخل الجامعة لها دور حاسم في فهم ظاهرة الهدر الجامعي. فاستدماج هذه القواعد وعدم تعارض الجوانب الموضوعية للطالب قبل ولوجه للجامعة، مع قواعد واستراتيجيات النسق الجامعي، وبالتالي تكيفه واندماجه فكريا ومؤسساتيا واجتماعيا، هو ما يضمن استمراره وعدم تعرضه للهدر الجامعي.

1- Ibid, pp. 15-16

* نشير هنا إلى أننا أدخلنا بعض التعديلات الطفيفة على مستوى الخطاطات النظرية الواردة في هذا المقال، وذلك سعيا منا إلى تقريب مضامينها إلى القارئ، على أننا لم نخلّ بالدلالات والمعاني التي تعبر عنها.

فتح نموذج ويليام سبادي الباب على مصراعيه لباحثين آخرين من أجل مواصلة البحث في الموضوع، فقد قام تينتو هو الآخر مع مطلع السبعينيات استنادا إلى نظرية دوركايم حول الانتحار، بوضع نموذج نظري آخر لتفسير الهدر الجامعي، قام بمراجعته سنة (1993) في ضوء ما وجه له من انتقادات.

لقد بنى تينتو نموذجه التفسيري على مفهومي الاندماج، والانتماء للجماعة الجامعية، بالشكل الذي يجعل من قرار متابعة الدراسة أو الانقطاع عنها رهينا بضرورة ممتدة من التفاعلات بين الطالب، والنظام الأكاديمي والاجتماعي للمؤسسة الجامعية، وتبعاً لذلك تؤول الأمور إقماً إلى التوافق بين خصائص الطالب وخصائص المؤسسة الجامعية، وبالتالي الاندماج والاستمرار في الدراسة، أو إلى التنافر بينهما، وبالتالي استحالة تحقيق الاندماج بنوعيه الاجتماعي والأكاديمي، واتخاذ قرار التخلي عن متابعة الدراسة¹. وقد عرف هذا النموذج استعمالاً واسعاً في الدراسات التي لها صلة بالموضوع حتى أن هناك من اعتبره باراديجماً قائماً بذاته².

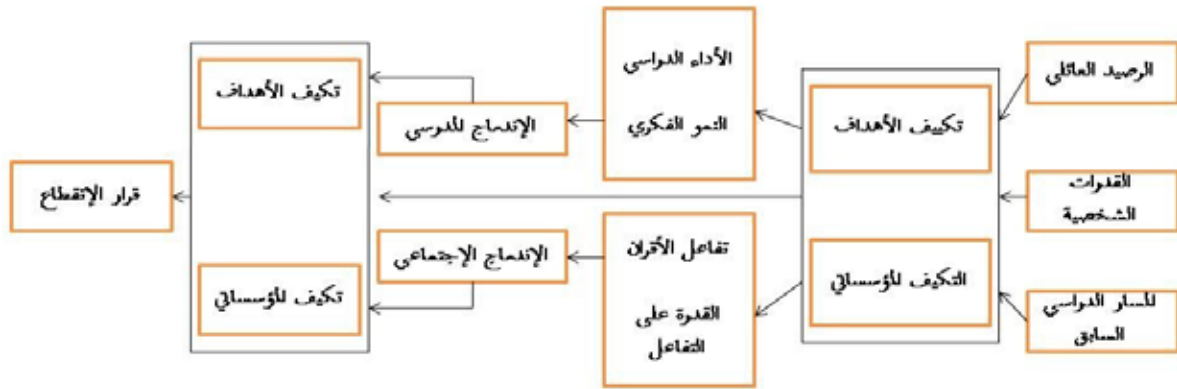
يشترط هذا النموذج، كما توضح ذلك الخطاطة رقم (2)، لتحقيق عدم الانقطاع عن الدراسة الجامعية، حصول نوعين من الاندماج: اندماج اجتماعي، واندماج دراسي؛ يتحقق الاندماج الاجتماعي نتيجة انخراط الطالب في علاقات إيجابية مع باقي الطلبة، وفي الأنشطة شبه الجامعية، وتفاعله مع أطر المؤسسة، وكل ما له علاقة بنموه الشخصي وأهدافه المهنية³، أما الاندماج الدراسي فيترجمه المردود الدراسي للطالب، ومستوى نموه الفكري وانطباعه الإيجابي العام حول هذا النمو، وطبعاً تحتفظ المميزات الشخصية للطالب وماضيه المدرسي وسياقه الأسري، كما هو الشأن في النموذج السابق بدور محوري في توجيه هذه السيرورة العامة⁴.

1- Tinto. V et Cullen. J, *Dropout in higher Education: a review and theoretical synthesis of recent research*, Office of Education, Washington 1973.

2- Schmitz Julia et al, «Étude de trois facteurs clés pour comprendre la persévérance à l'université», *Revue française de pédagogie* N° 172 Juillet-aout-septembre 2010, p. 45.

3- Sauvé, L. Et al., «Comprendre le phénomène de l'abandon et de la persévérance pour mieux intervenir», *Revue des sciences de l'éducation*, vol. 32, n° 3, 2006, pp: 789-790.

4- Ibid. pp: 789-790.



خطاظة رقم (2): نموذج تينتو Tinto المفسر لأسباب الهدر الجامعي (1993)

4- نموذج بين (J. Bean) وميتزner (B. Metzner):

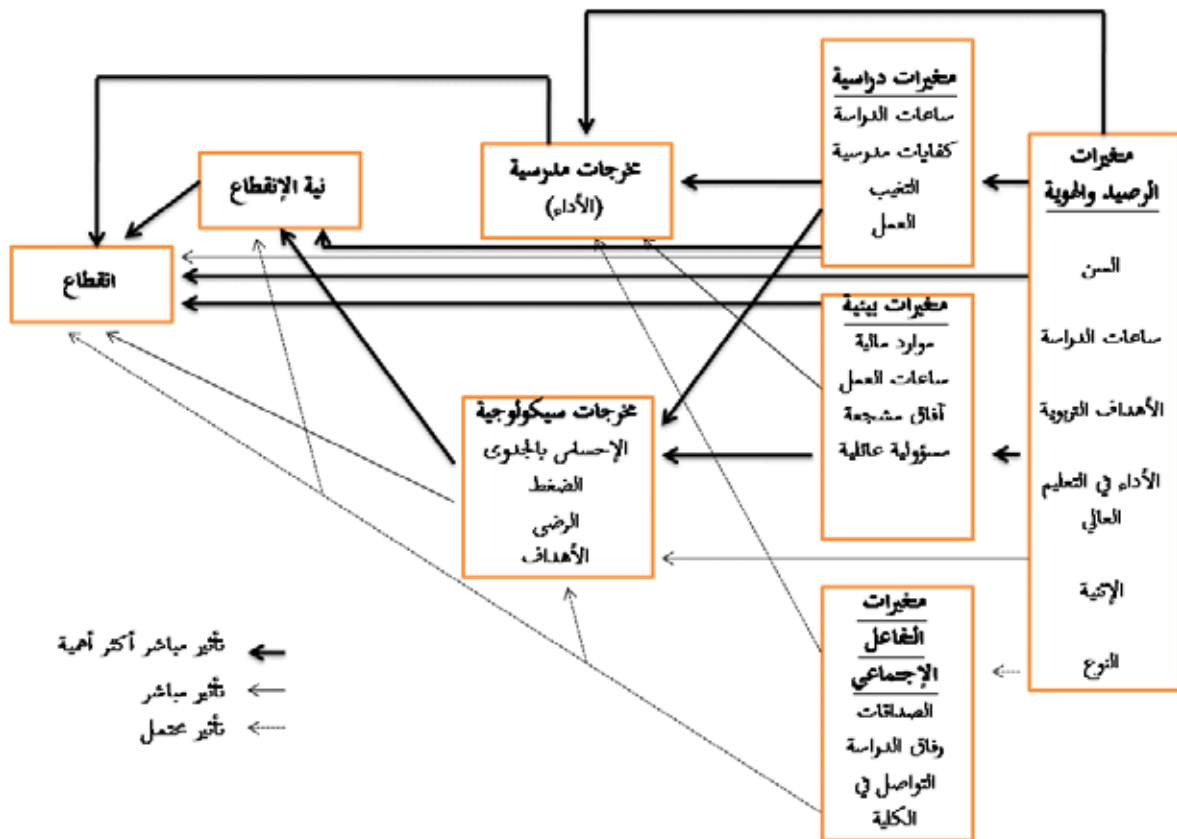
إضافة إلى النماذج التفسيرية السابقة، ظهر في منتصف الثمانينات نموذج آخر يوصف بالتنظيبي¹، لكل من جون بينوبربارا ميتزner، وقد ركز هذا النموذج بشكل كبير على كشف أثر الأبعاد التنظيمية للمؤسسات الجامعية - وخاصة بنياتها المختلفة، من فضاءات ومقاربات إدارية وأنشطة وتأطير للطلبة - في الهدر الجامعي، حيث تدخل هذه الأبعاد التنظيمية في تفاعل مع خصائص الطالب (درجة حافزته، رهاناته، أهدافه...) وتؤثر في اندماجه وعلى تجربته الجامعية.

ويحتفظ هذا النموذج بجوانب عديدة من نموذجي تينتو وسبادي، لكنه يركز أكثر على أثر العوامل الخارجية على مواقف الطالب، وسلوكاته اتجاه المؤسسة الجامعية؛ وهي العوامل التي يمكن أن تتعلق بالوالدين أو بالأصدقاء أو بالموارد المالية للطالب... إلخ². كما يبنى هذا النموذج على تعريف خاص للطالب غير التقليدي (Non traditional Student) الذي أصبح يرتاد الساحة الجامعية؛ والذي يتجاوز سنة 24 سنة، ولا يقطن بالسكن الجامعي، ولا يخصص كل وقته للدراسة، وربما يعمل وله مسؤوليات عائلية؛ أي أنّ هذا الطالب أصبح أكثر اتصالاً بالمحيط الخارجي مقارنة بالوسط الجامعي وبالأقران داخل الكلية، وهو ما يعني أن تفاعل هذا الطالب واحتكاكه بالأقران وبمختلف أعضاء الكلية أصبح محدوداً، وبالتالي أصبح تحقق الاندماج داخل النسق الجامعي أكثر صعوبة بالنسبة إليه، الشيء الذي من شأنه أن يشجع الانقطاع عن الدراسة في صفوف هؤلاء الطلبة الجامعيين.

1- Bean J, et Metzner, B. S. «A conceptuel model of nontraditional undergraduate student attrition», *Review of Educational Research*, Vol. 55, N° 4, 1985, pp: 485-540

2- Sauvé, I, et al, *l'abandon et la perseverance aux études postsecondaires*, Rapport de recension, SAMI perseverance, 2008, p: 27

توضح الخطاطة رقم (3) هذه السيرورة العامة التي تؤثر فيها متغيرات مختلفة مرتبطة بخلفية الطالب؛ كسنه وجنسه وأهدافه... إلخ، على قرار الانقطاع أو مواصلة الدراسة بشكل مباشر أو غير مباشر، عن طريق تأثيرها في نوعين آخرين من المتغيرات: متغيرات مرتبطة بالبيئة الجامعية وأخرى مرتبطة بالمحيط الخارجي، ويؤثر هذان النوعان من المتغيرات بدورهما بشكل مباشر على قرار الطالب من خلال ضعف أدائه الدراسي، أو غير مباشر؛ من خلال خلق مناخ سيكولوجي سلبي يكتنفه القلق والشعور باللاجدوى، وعدم توافق الأهداف الشخصية مع أهداف المؤسسة¹.



خطاطة رقم (3): نموذج بين وميتزner المفسر لأسباب الهدر الجامعي (1985)

وعموماً، فهذا النموذج التنظيمي الذي شيدته بين وميتزner في تفسير ظاهرة الهدر الجامعي، لا يشكل قطيعة مع نموذج وليام سبادي وتينتو، إذ احتفظ هو الآخر بثنائية العوامل الدراسية والاجتماعية في تفسير سيرورة قرار الانقطاع عن الدراسة. لكن ما يميز هذا النموذج عن سابقه، هو تركيزه الكبير على الجوانب التنظيمية التي تحكم سير المؤسسة الجامعية، بالشكل الذي يجعل قرار متابعة الدراسة رهينا

1- Bean J, et Metzner P, B. S. «A conceptuel model of nontraditional undergraduate student attrition», *Review of Educational Research*, 1985, Vol . 55, N° 4, cité par: DeRemer, M.A, *The Adult Student Attrition Decision Process (ASADP) model*. Thèse de Doctorat, University of Texas, Austin, TX, 2002, p. 26.

بالاندماج مع المستجدات التي تفرضها الجامعة، سواء على مستوى التنظيم الإداري، أو مختلف الجوانب المتعلقة بسير التعلم داخل الفصول الدراسية.

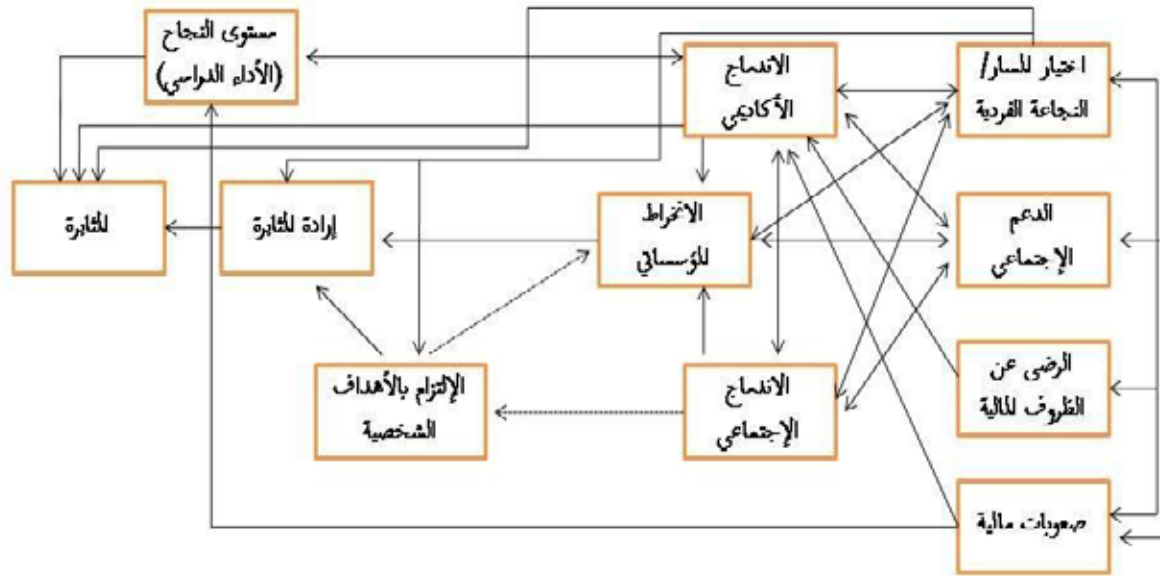
ما يركز عليه هذا النموذج، ولو بشكل ضمني، هو القطيعة التي يعيشها الطالب أثناء ولوجه إلى الجامعة، حيث يجد نفسه أمام عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن المرحلة الثانوية؛ فتنظيم الدروس، والقواعد الإدارية، والأنشطة الدراسية... إلخ، هي كلها عناصر تصبح غريبة عما ألفه الطالب في مراحل الدراسة السابقة. وهنا يصير اندماج الطالب مع هذه المستجدات من عدمه شرطا أساسا للتحكم في مصير متابعته أو انقطاعه عن الدراسة الجامعية.

5- نموذج ألبرتو كابريرا (Cabrera Alberto F.) وماريا كاستنيدا (Castaneda Maria) وأموري نورا (Amaury Nora) ودينيس هانكستلر (HengstlerDennis) المعدل من طرف مارتن ساندلير (SandlerMartin):

يستعمل هذا النموذج التوليقي لتفسير ظاهرة الهدر الجامعي عند الطلبة التقليديين¹ وغير التقليديين، بالتوليف بين التفاعلات والمتغيرات المفسرة للهدر أو المثابرة الجامعيين كما وردت في النماذج السابقة؛ أي بالدمج بين النموذج التفاعلي لتينتو، والنموذج التنظيمي لبين وميتزر، مع إضافة متغير الوضعية المالية؛ ويقصد بهذا المتغير ضرورة التركيز على الوضعية المالية للطلبة التي يمكن أن تكون سندا له لمواصلة دراسته، كما يمكن أن تكون سببا في انقطاعه عنها، وقد طور ساندلير هذا النموذج بإضافة متغير مرتبط بالنجاعة الذاتية للطلبة، والمتعلق أساسا بالقدرة على اتخاذ قرارات تمس مساره، وهو ما يعني أن الطالب غير التقليدي خاصة، يكون بصدد اختيارات تسمح له باكتساب الكفايات التي يمكنها أن تجعله يرتقي مهنيا².

لا يخرج هذا النموذج في جوهره عن النماذج السابقة، إذ المدخل الرئيس في تحليل وتفسير ظاهرة الهدر الجامعي ظل منصبا على تفكيك سيروية اندماج الطالب داخل المؤسسة الجامعية، وذلك من خلال رصد عناصر التجربة الطلابية بكل حيثياتها؛ ونقصد هنا على وجه التخصيص ارتباط هذه التجربة بالماضي الدراسي والاجتماعي للطلبة، وأهمية ذلك في اندماجه الاجتماعي داخل المؤسسة الجامعية، إلى جانب اندماجه وتأقلمه مع المستجدات الدراسية التي تفرضها هذه المؤسسة. لكن ما يميز هذا النموذج هو مزجه ما تفرق في غيره من النماذج، عن طريق الانتباه إلى أهمية الجوانب الاقتصادية في إزالة جزء من اللثام عن أسباب الظاهرة، وأيضا أخذه بعين الاعتبار حالة الطلبة غير التقليديين واستراتيجيات الطلبة في تفسير الظاهرة.

1- راجع مفهوم الطالب غير الاعتيادي Nontraditional Student عند بين Bean ومتزرن Metzner «Comprendre le phénomène de l'abandon et de la persévérance pour mieux intervenir», Ibid, p.p. Sauvé.L,² 791-792.



خطاطة رقم (4): نموذج كابريرا وآخرون المفسر لأسباب الهدر الجامعي (1992)، المعدل من طرف ساندلر (1998)

6- خاتمة:

يلاحظ القارئ من خلال هذه النماذج المفسرة أن التفكير في ظاهرة الهدر الجامعي ليس بالأمر اليسير، كما قد يبدو للوهلة الأولى، إذ الظاهرة تقدّم نفسها في ارتباط مع مجموعة من المحددات والأبعاد: الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية والتنظيمية والمؤسسية، مما يفرض على الباحثين المتخصصين في هذا الموضوع الأخذ بعين الاعتبار كلّ هذه الأبعاد أثناء محاولة الكشف عن أسبابه وتداعياته، بعيداً عن التنظيرات والمقاربات الأرثوذكسية التي لا تسعف في تشكيل تصورات دقيقة ومتكاملة حوله.

وإذا أردنا أن نجمل خلاصات النماذج المفسرة لهذه الظاهرة، فيمكننا القول إنّها تتفق على مفهوم "اندماج الطالب": اجتماعياً ومؤسسياً داخل الجامعة، كمفهوم تحليلي تقوم عليه عمليتي تحليل وتفسير هذه الظاهرة. وهو الاندماج الذي يخضع إلى سيرورة معقدة، يتم فيها ربط المتغيرات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والدراسية القبلية للطلاب، بكل قواعد النسق الجامعي، اعتماداً على مفهوم التكيف المؤسسي كمفهوم وسيط في عملية الاندماج.

ويبقى أن نقول في الختام، إنّ ظاهرة الهدر الجامعي - والتي تظل من المشكلات الجاثمة على سطح المنظومات التربوية، نظراً إلى التأثيرات السلبية التي تلقي بها في مختلف أهداف هذه المنظومات - لم تلق اهتماماً كافياً في مجتمعاتنا العربية، وهو ما يحجب علينا إمكانية فهم أسبابها الحقيقية في سياقتنا المحلية، بهدف الحد من مفعولاتها السلبية؛ فما يلاحظ في مجتمعاتنا هو الاهتمام بشكل شبه حصري بظاهرة الهدر المدرسي في المراحل قبل الجامعية.

البيبلوغرافيا:

- 1- Alava S., «Penser reussir, savoir étudier : regards sur le décrochage universitaire.» **Revue HAL**, 2011.
- 2- Bean J., et Metzner, B. S. «A conceptuel model of nontraditional undergraduate student attrition», **Review of Educational Research**, Vol. 55, N° 4, 1985.
- 3- DeRemer, M. A., *The Adult Student Attrition Decision Process (ASADP) model*. Thèse de Doctorat, University of Texas, Austin, TX, 2002.
- 4- DeRemer, M. A. *The Adult Student Attrition Decision Process(ASADP) model*. Thèse de Doctorat, University of Texas, Austin, TX, 2002.
- 5- Mihaljevic Kosor Maja, *Leaving Early: The derminants of Student Non-Completion in Croatian Higher Education*, Rev. Soc. polit., vol. 17, n°2, 2010.
- 6- McCulloch A., *Learning from Futuretrack : Dropout from higher education*, Department for Business Innovation and Skills (BIS), Higher Education Careers Service Unit (HECSU) March 2014.
- 7- Müller. S, Schneider. «T, Educational pathways and dropout from higher education in Germany», **Longitudinal and Life Course Studies**, Vol. 4, Issue 3, 2013.
- 8- Sauvé I., et al, *l'abandon et la persévérance aux études postsecondaires*, Rapport de recension, SAMI persévérance, 2008.
- 9- Sauvé L. Et al, «Comprendre le phénomène de l'abandon et de la persévérance pour mieux intervenir», **Revue des sciences de l'éducation**, Vol. 32, n° 3, 2006.
- 10-Schmitz Julia et al, «Étude de trois facteurs clés pour comprendre la persévérance à l'université», **Revue française de pédagogie** N° 172 Juillet-aout-septembre 2010
- 11-Spady William « dropouts from higher education: an interdisciplinary review and synthesis» **interchange I**, 1970, p.p. 64-85. cité par: DeRemer, M. A. *The Adult Student Attrition Decision Process (ASADP) model*. Thèse de Doctorat, University of Texas, Austin, TX, 2002.
- 12-Tinto.V et Cullen. J, *Dropoutin higher Education: a review and theoretical synthesis of recent research*, Office of Education, Washington 1973.